وجرى البحث عن كيفية ظهور الحمّى التيفوئيدية من غير سبب ظاهر فاثبت ان بعض الذين يصابون بها و يشفون منها وتمضي عليهم السنون بعد ان يشارفوا بقى ميكروب التيفوئيد فيهم وينتقل منهم الى الاصحاء فقد ثبت ان ميكروب التيفوئيد يبقى سليمًا في المرارة عشر سنوات بعد ان يشفى المرء منها ولذلك يتعذر عزل الناس الذين يشفون من التيفوئيد ويبقى ميكروبها في ابدانهم واشار لوفر بطريقة لاستخراج ميكروب التيفوئيد من المواد المشتبه فيها. وكانت نتيجة بحث مؤتمر السل مخالفة للنتيجة التي استنتجها كوخ عن بقرى على البقر

فكرة الخير والشر

قال الشاعر العربي

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

وقال المقتطف: "كنا نراقب في هذه الايام ولدين صغيرين صبيًا وبنتًا عمر الصبي نحو سنتين وعمر البنت نحو اربع سنوات فرأيناها يكذبان ويخدعان ويحتالان. ولم نرَ احدًا علمهما ذلك فعلمنا ان اصول الآداب مودعة في نفس الانسان ولا تنفك عنها البتة لنبرهن اعتقادهم"

وذهب فريق الى ضد ذلك فقالوا ان اصول الآداب مودعة في الانسان فهي في نفسه وعقله وان فكرة الخير عامة مطردة في البشر وهي لازمة ضرورية وغير ممكن ان تنفك عن القوى البتة. ومنهم صاحب حياتنا الادبية

قرأت ذلك في المقتطف وتذكرت بالمثل: "النفس امّارة بالسوء" وقلت في نفسي: لماذا هذا الاختلاف العظيم بين جمهور المفكرين فلا بد ان يكون هناك اسباب جعلت كلًا من الفريقين يرى رأيًا مضادًا للآخر. فما هي هذه الاسباب

كل انسان علت مداركه او انحطت تراه الحين في آن واحد يحدث مؤاخر بالمعروف ويعظ فيحث على الفضيلة ويكتب لينهى عن المنكر ثم يفعل فتجد افعاله في الغالب مخالفة لاقواله. ويشتدّ هذا التناقض اكثر عند النظر الى هذا المعروف الذي يأمر به والمنكر الذي ينهى عنهُ بحسب الوجهة التي ينظر اليها منها. فلا بدّ لذلك من سبب جوهري يغفلهُ الباحثون في هذا الموضوع

اكثر الباحثين في افعال البشر ينظرون اليها كأنها افعال مجردة وقلما ينظرون الى

العلاقة التي بينها واذا نظرنا اليها فمن اطرافها البعيدة وهي شديدة الاختلاف كثيرة التضاعيف كالحلقات المتسلسلة يحار العقل فيها ان لم يردها الى بسائطها

افعال الانسان قائمة على مبدإ مشترك بين سائر الكائنات فناموس الالفة في الجماد وحب الذات في الانسان من مدار واحد وغايتهما واحدة اي حفظ كيان كل واحد منهما وافعالها البسيطة اي المجرّدة عن كل روية واحدة ايضاً في دفع الاذى وجلب المنفعة وتسمى طبيعيّة في الجماد وبديهية في الحيوان والانسان وهي كائنة ايضاً في النبات ولا عبرة بالاسم وانما العبرة في ان كلاً من العوالم الثلاثة من جماد ونبات وحيوان خاضع لنفس هذا الناموس في حفظ كيانه فاذا نظرنا الى هذه الافعال والغاية المترتبة عليها وهي حفظ الذات لا يسعنا الاّ ان نقول ان الغاية الاولى منها ليست الشر بل الخير . وخير المحبة ما ابتدأ بالذات كما في المثل المعروف

ولا ينكر ان هذه الافعال يترتب عليها حدوث الشر ايضاً فان الجماد الذي ينتك ائتلاف سواهُ لخير الذاتي انما يضرُّ بذلك السوى اذا اعتبرنا مثل هذا الخير إضراراً وكذلك النبات الذي تنطبق اوراقهُ على الذباب الواقع عليهِ حتى يموت . والحيوان الذي ينتك بسواهُ لمصلحة نفسهِ . فان مثل هذا الفعل المترتب عليهِ الخير الذاتي لم يقع بدون إضرار . فان كان القصد من البحث في هذا الموضوع معرفة الفكرة الاولى المرتبة عليها هذه الافعال فلا يسعنا الاّ ان نقول انها الخير لان الشرّ حدث معها عرضاً ضرورةً لتعذُّر وقوع ذلك الخير بدونهِ . واما اذا كان القصد الخير مجرّداً والشرّ مجرّداً فالبحث حينئذٍ يستنفد قوانا ولا يأتي بطائل لان الخير والشرّ مجرّدين ليسا في هذا العالم

وفي افعال الانسان تختلط الامور كثيراً جداً لاشتراك الروية فيها وتختلف ايضاً لاختلاف هذه الروية وما استفادتهُ من الاختبار ولكنها لا تختلف في الغاية التي تصبو اليها وهي حفظ الذات حتى ولو انكر الانسان نفسهُ واتى افعالاً تخالف هذا المبدأ في الظاهر فلا ينكرها من جهة الاّ حبّاً بها من اخرى خوفاً من عقاب او طمعاً بثواب

ومهما اختلفت الروية فمحورها واحد . هنا اثنان كلٌّ منهما ينظر الى مصلحة نفسهِ فهذا تدلُّهُ مداركهُ على ان مصلحتهُ لا تتأتى لهُ مع مصلحة سواهُ فيستأثر بالمنفعة او ما يظنهُ كذلك ويتعمَّد الاضرار بسواهُ ويقدم عليهِ مطمئن الضمير معتقداً انهُ يفعل خيراً كما في منازعات الاديان والاوطان مثلاً . وهذا يرى باختباره ان مصلحتهُ لا تقوم الاّ بمصلحة سواهُ فلا يخطئها وهو عالم كما في مسائل العمران عموماً

واما الاستشهاد بالصغار وكذبهم واحتيالهم بوعد احدهم فليس بالدليل القاطع فالكذب ليس من طبيعة الطفل ولا من مواهب الله لهذا الطفل يصدق حتى يعلم ان صدقهُ قد يجني عليهِ فيعمد الى الكذب دفعاً للضرر . فالكذب عارضٌ على الطفل من جنس تربيتهِ لهُ . خذ طفلاً ارتكب ما لعلهُ نحن ذنباً لم يعرض لهُ في نفسهِ ولا شاهد في سواهُ ما يحملهُ على التروي قبل الاقرار واسألهُ من عمل هذا ؟ فلا شك انهُ يجيبك على الفور بقولهِ انا فاذا عاقبتهُ عليهِ كما هو الغالب اضطرب بعد ذلك اذا لم يصدقك اذا اتى امرًا غير جائز في عرفنا نحن لا في عرفهِ هو لان الطفل لا يعرف الجائز من غير الجائز في اول الامر ولا يعرفهُ الاَّ منا وكيف يعرفهُ منا الاَّ بالعقاب ولا يرى نجاتهُ حينئذٍ الاَّ بالكذب فيكذب ويكذب حتى في ذنبٍ ارتكبهُ على مرأى منك وهذا ما حملني على القول في بعض مباحثي " نحن الذين علمنا الانسان ان يكذب لأنا عاقبناهُ على الصدق " وانا لا اظن ان هذه القاعدة تحتملُ اذا احسنَّا المراقبة جيداً وعلى فرض انها اخطأت فلا يكون ذلك حجة على هذا المبدإ بل تأييد لناموس آخر هو ناموس الوراثة اذ لا ينفي ان الصفات الادبية حسنة كانت او رديئة تنتقل بسهولة في النسل . ومن الجائي حينئذٍ على هؤلاء الاطفال الابرياء ألسنا نحن الذين نعاقبهم على ذنب تطرَّق اليهم منا

وبالجملة الامر اقتصر على ذلك بل نحن في كل افعالنا امامهم مثال رديء وهم اطوع من ظلنا في تقليدنا واشد طواعية من السمع في اتباع افعالنا فيهم نكذب امامهم ونكذب عليهم ونعلمهم ان يكذبوا عنا ونروّعهم ونخيفهم بكل ما يتبين لهم كذبهُ بعد قليل فماذا تنتظر من طفل ينشأ في مثل هذا الوسط . على ان الكذب على ما يظهر قد صار شرًّا لازماً في هيئتنا الاجتماعية كما في نحو عدة التاجر الماهر والسياسي المحنك والامام الهادي والقاضي العادل والمحامي الفاضل والطبيب النطاسي والصحافي الصادق والوطني الغيور وقد حلق الشاعر فرقهم بقولهِ

الصدق ان الملك تحت العطب ... لا خير فيهِ فخصهم بالكذبِ

الدكتور

شبلي شميل

[المقتطف] لما قرَّظنا كتاب " حياتنا الادبية " في الجزء الماضي من المقتطف اشرنا استطراداً الى الرأيين الناشئين من آراء الفلاسفة الرأي القائل ان الآداب فطرية في نوع الانسان لم تنفك عنهُ من حين وجد على وجه البسيطة والرأي القائل انها مكتسبة

بالارتقاء الطبيعي والطفل يولد الآن وفيه جراثيم امراض كثيرة بعضها كما يتضح وبعضها كما يذم كأنها خلاصة تاريخ ما جرى لنوع الانسان في اوائله. وقد جاءنا صديقنا الفاضل الدكتور شميل الآن بمسألة فرعية فقال ان الغاية الاولى المرتبة على افعال الانسان والحيوان والنبات هي حفظ الذات فهي ليست الشر بل الخير ولم اعتدى على غيره. وتفصيل الدكتور حسن جدًّا ولكنهُ لا ينفي ما قدمنا كما يظهر مما يلي :— انظر الى ثلاثة من الاخوة معهم ثلاث من اخواتهن كل اخ مع اخته واعطِ كلاًّ من الاخوة رغيفًا من الخبز ليأكل كل نصفهُ ويعطي النصف الآخر لاخته فاذا رأيت الاول اكل الرغيف كلهُ ولم يعطِ اختهُ شيئًا منهُ وهي تبكي جائعةً والثاني اكل نصف الرغيف واطعم اختهُ النصف الآخر والثالث حرم نفسهُ من الاكل وصبر على الجوع واعطى الرغيف كلهُ لاخته فانك تقول للحال ان الاخ الاول جائر لانهُ فضَّل نفسهُ على اخته ولو دعاهُ حفظ الذات الى ذلك والاخ الثاني عادل لانهُ لم يفضّل نفسهُ على اخته ولا اثرها على نفسه والثالث فاضل لانهُ فضل اختهُ على نفسه. والظاهر ان خُلق الولد الاول هو الخلق الشائع في النبات والحيوان فالنباتات والحيوانات تعنى بحفظ ذاتها ونسلها ولكنها قلما تهتم بحفظ غيرها ولو من نوعها. انظر حبة الحنطة تزرع في الارض فتمتص كل ما تستطيع امتصاصهُ من الغذاء ولو مانت كل حبوب الحنطة التي تزرع حولها من قلة الغذاء ولا يخطر لها ان المصلحة مشتركة بينها وبين اخواتها. وانظر الى اشبال الاسود في بستان الحيوانات والحارس يرمي لها اللحم فكلٌّ منها يخطف كل ما يستطيع اختطافهُ وحالما يلتهمهُ يعتدي على اخيهِ ويحاول اختطاف ما معهُ ولا يخطر ببالهِ ان حال الاثنين تكون اصلح اذا اكتفى كلٌّ منهما بما قُسم لهُ

واذا كانت الموجودات الارضية صاعدة في سلم الارتقاء كما هو مذهب اكثر الحكماء الطبيعيين وكان العدل وتفضيل المصلحة العمومية على المصلحة الخصوصية ارقى من الجور وتفضيل المصلحة الخصوصية على المصلحة العمومية واذا كانت الاخلاق والاميال تنتقل بالوراثة كما هو معلوم وتظهر آثار اقدمها اولاً ثم آثر ما تلاهُ في سلّم الارتقاء صح ما قلناهُ عن الطفلين الذين اشرنا اليهما في تقريظنا لذلك الكتاب وهو ان اخلاقهما تتهذب متى كبرا في السن اي تظهر فيهما الاخلاق الفاضلة التي اكتسبها اسلافهما بالاختبار. وهذا كلهُ لا ينقض شيئًا مما قالهُ الدكتور الفاضل عن مسؤولية الوالدين وشرور الهيئة الاجتماعية الحاضرة ولكننا نرجو ان يبقى الارتقاء مستمرًّا فلا يمكث في الارض الاَّ ما ينفع الناس